ومن كان في مثل هذه الحالة ، لا يستطيع الا اتخاذ القرار الاسهل الملائم لوضعه : الرفض ٠

بين النظرية والواقع

لم تتبلور النظريات والاسس والمفاهيم الرفضية الصهيونية ـ الاسرائيلية ، بنواحيها الفكرية او « الفلسفية » او « النفسية » في فراغ ، بل تم ذلك من خلال تفاعل دائم وشبه يومي مع الواقع ، الذي افرز نتائج دعمت وجهات النظر تلك٠ فالتجربة الصهيونية حققت نجاحا واضحا وملموسا على الصعيد العملي ، لا يمكن تجاهله ٠ وقد طغى هذا النجاح على ابصار الصهيونيين وجعلهم يعتقدون انهم قادرون بـ « شطارتهم » على تحقيق المكسب تلو الاخر ، وتأمين مصالحهم، مهما كانت الصعوبات ، وهذا اعتقاد لا يدفع الا نحو التشبث بالرفض ٠

لقد حقق المشروع الصهيوني ما حققه من نجاح نتيجة لتكاتف عوامل عديدة ، لا تتعلق بقدرات الصهيونيين وحدهم ٠ واول ما يظهر واضحا للعيان ، في هذا المجال ، الدور المهم الذي لعبته القوى الخارجية ، الممثلة في الدول الاستعمارية الغربية الرئيسية ، الساعية الى السيطرة على العالم العربي وخيراته ، في تبني المشروع الصهيوني ودعمه ٠ ولعل ذلك العامل الخارجي هو الاكثر اهمية، ان لم يكن الاول ، من حيث تأثيره على تحقيق المشروع الصهيوني ، اذ لولاه لما قامت لذلك المشروع قائمة ، على الرغم من ادعاءات الصهيونيين واليهود التي قد تشير الى عكس ذلك ٠ فالصهيونيون لم يستطيعوا تحقيق اية مكاسب تذكر في فلسطين خلال العقود الاربعة الاولى من نشاطهم المنظم في البلد وخارجه ، رغم الجهود المضنية التي بذلوها في سبيل ذلك ، ولم يتغير وضعهم الا بعد ان قررت بريطانيا تبنيهم ، مع نهاية الحرب العالمية الاولى ، باصدار وعد بلفور ٠ وخلال الثلاثين سنة التالية (١٩١٧ ـ ١٩٤٧) ، وعلى الرغم من الخلافات والمشاحنات التي كانت تحتدم ، من حين الى اخر ، بين الصهيونيين والبريطانيين ، نما المشروع الصهيوني في فلسطين وتطور وقوي عوده تحت حماية الحراب البريطانية اساسا ، الى ان اعلن دولة سنة ١٩٤٨ ٠ كما ان تلك الدولة تمتعت ، منذ قيامها وحتى اليوم ، بحماية ودعم القوى الاجنبية : بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة (التصريح الثلاثي) في اوائل الخمسينات، فرنسا في اواخر الخمسينات واوائل الستينات ، والولايات المتحدة منذ منتصف الستينات على الاقل ٠ واهمية هذه الحماية واضحة للغاية ، لا تحتاج الى براهين كثيرة ، وهي التي تلعب دورا كبيرا في تقوية الصلف الاسرائيلي ٠ فلولا الدعم الاميركي الحالي ، السياسي والعسكري والاقتصادي لاسرائيل ، المتزايد سنة بعد اخرى لما كان باستطاعتها التمسك بالسياسة التوسعية المتشنجة التي تتبعها ، وتحدي العالم العربي بأسره ٠